

آذانهما، فسمعا مواء خافتا فتلفتا، ثم عرفا أن القطة على الشجرة فجعلا ينظران من هنا ومن ههنا ويميلان رأسيهما إلى اليمين والشمال حتى رأياها، وجعلت الفتاة تدعوها بأصوات مختلفة أن تنزل والقطة تأبى أن تطمئن وتخشى إغراء الأصوات المهيبة بها أن تنزل، فتصعد حتى بلغت القمة فدعت الفتاة صديقي أن يتسلق الشجرة ليجيئها بالقطة، فهز رأسه وقال لها: «حرام عليك.. هل تريدين أن أقع فأموت؟» فتوسلت إليه فلم يلن، وقال إن القطة لا تلبث متى هدأ روعها أن تنحدر من تلقاء نفسها. وكان هذا صحيحا فما يمكن أن تظل القطة على الشجرة طول عمرها، ولكن قلب الفتاة أبى أن يطمئن فخرجت باكية ورأيتهما أنا فانطلقت أعدو إليها، وقد أحسست أن قلبي يتفطر، وسألتهما ماذا يبكيها.. فقصت على الحكاية، وقالت إن صاحبي لا يريد أن يتسلق الشجرة خوفا على عمره، فقرضت أسناني وقلت: «أنا أفعل» ففرحت وأبرقت أسارير وجهها، وقالت: «صحيح»؟ قلت: «بالطبع صحيح.. وهل تظنين أنى مثله أخاف على عمري.. ومم أخاف»؟

وخلعت حذائي ورميت الطربوش وشرعت أتسلق الشجرة المخوفة حتى صرت بين أغصانها الغلاظ المتشابكة، وذهبت أزحف على الغصون السمكية التي يحمل الواحد منها جملا لا غلاما خفيفا مثلي حتى بعدت عن الأرض جدا، وحتى أنها كانت تكلمني فلا أسمع وأصيح بها أن ترفع صوتها وأحتاج أن أنحنى وأفرق الأوراق لأرى أين هي. ولم أزل أصعد حتى دنوت من القطة، ولكنها كانت مع ذلك لا تزال بعيدة، وشاء الحظ أن تخاف القطة فلفت حول الشجرة وأصبحت على فرع في الناحية الأخرى، وكانت الفروع هناك أمتن وأسمك. فدرت كما دارت ومددت يدي فقبضت عليها ودسستها في جيبي، وكان الهبوط أخطر من الصعود وأشق.. ولكن الله سلم.

وتناولت القطة مني بعد أن أخرجتها من جيبي، وكدت أخنقها وأنا أحاول إخراجها — فقد كان لا بد أن أقبض على عنقها لأتقئ أسنانها وأظافرها — وأهوت عليها تقبلها وتضمها إلى صدرها وتمسح لها شعرها، كأنها طفل رضيع لا قطة لعينة كانت منذ دقيقة على قمة جميزة ضخمة تحاورني وتعرض عنقي للدق وأنا مازلت في مقتبل العمر. وكنت أنا أنظر إليها راضيا قرير العين فرفعت عينها إليّ، والقطة مضمومة إلى صدرها، وقالت إنها مدينة لى بالشكر ففركت كفى مسرورا ومرتبكا، فما كنت أنتظر شكرا ولا شبهه وإذا بها تصرخ فذعرت، فقالت: «يداك» فنظرت فيهما فألفيتهما مخدوشتين فأخفيتهما وراء ظهري، وقلت إن هذا من لحاء الشجرة وسيزول